

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُونًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ٣١﴾

[النساء: 29 - 31]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

ذَكَرُ كَيْفِيَّةِ
التَّصَرُّفِ فِي
الْأَمْوَالِ الْمَحْزُوزَةِ،
بَعْدَ ذِكْرِ
التَّخْفِيفِ بِجَوَازِ
نِكَاحِ الْإِمَاءِ

بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ اللَّهُ ﷻ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ أَحْكَامَ النِّكَاحِ وَشَرَحَ كَيْفِيَّةَ التَّصَرُّفِ فِي النُّفُوسِ بِسَبَبِهِ ذَكَرَ بَعْدَهُ كَيْفِيَّةَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ الْمُوصَلَةِ إِلَى النِّكَاحِ وَمِلْكِ الْيَمِينِ؛ وَأَنَّ الْمُهُورَ وَالْأَثْمَانَ الْمَبْذُولَةَ فِي ذَلِكَ لَا تَكُونُ مِمَّا مَلَكَتْ بِالْبَاطِلِ ⁽¹⁾ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

كَمَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ غَالِبٌ مَا مَضَى مِنَ السُّورَةِ فِي مُعَامَلَةِ الْيَتَامَى وَالْأَقَارِبِ وَالنِّسَاءِ، وَسَائِرِ النَّاسِ، مِنْ أَحْكَامِ فِي الْمَوَارِيثِ وَالنِّكَاحِ وَمَا يُفْرَضُ لِلنِّسَاءِ وَمَا يَجِبُ مِنْ إِيْتَائِهِنَّ أَجُورَهُنَّ، وَكَانَ مَدَارُ الْكَلَامِ فِي تِلْكَ الْمُعَامَلَاتِ عَلَى الْمَالِ، ذَكَرَ بَعْدَ كُلِّ هَذَا قَاعِدَةً عَامَّةً لِلتَّعَامُلِ الْمَالِيِّ وَتَشْرِيعًا عَامًّا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ.

فَهِيَ حَلَقَةٌ فِي سِلْسِلَةِ التَّرْبِيَةِ، مُصَاحِبَةٌ لِسِلْسِلَةِ التَّشْرِيعِ وَالْأَحْكَامِ، وَالتَّرْبِيَةُ وَالتَّشْرِيعُ فِي الْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ مُتَلَازِمَانِ وَمُتَكَامِلَانِ فِي الْخُطَابِ الْقُرْآنِيِّ وَيُنْظَرُ فِيهَا دَوْمًا إِلَى رَبِطِ الْقَلْبِ بِاللَّهِ، وَإِشْعَارِهِ بِمَصْدَرِ هَذَا الْمَنْهَجِ الْمُتَكَامِلِ مِنَ التَّشْرِيعِ وَالتَّوْجِيهِ ⁽²⁾.

(1) الرَّازِيُّ، مفاتيح الغيب: 10/56، وأبو حَيَّانَ، البحر المحيط: 3/609.

(2) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرَرِ: 5/258، وَرِضَا، تَفْسِيرُ النَّارِ: 05/33، وَابْنُ عَاشُورَ، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 05/23.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾: الْأَكْلُ تَنَاوُلُ الْمَطْعُومِ بِالْفَمِ وَبَلْعُهُ⁽¹⁾، قال الرَّمَانِيُّ والأَكْلُ حقيقة بلع الطَّعام بعد مضغه، فبَلَعَ الحِصَاةَ لَيْسَ بِأَكْلٍ⁽²⁾، و(الأكلة) بالفتح المرَّة الواحدة حتَّى تشبع، وبالصَّم اللَّقْمَةُ الواحدة، وكلَّ (مأكول) أَكَلٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَكُلْهَا ذَائِبٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: 35]⁽³⁾، وَأَصْلُ الْأَكْلِ التَّنْقِصُ، وَيُطْلَقُ مَجَازًا عَلَى حِيَازَةِ الشَّيْءِ وَالانْتِفَاعِ بِهِ⁽⁴⁾ وَالْمَعْنَى هُنَا: صَرَفُهُ إِلَى مَا يُنَافِيهِ الْحَقُّ⁽⁵⁾، ويقال: أَكَلَتِ النَّارُ الْحَطْبَ، واثتكلت: اشتدَّ التهابها، كأنَّما يَأْكُلُ بعضها بعضا، ومن المجاز: (لعن أكل الرِّبَا ومؤكله)⁽⁶⁾.

(2) ﴿عُدُونَا﴾: مِنْ عَدَا عَلَيْهِ، يَعْدُو عَدُوًّا وَعُدُوًّا وَعُدُونًا، إِذَا جَارَ⁽⁷⁾، وَتَجَاوَزَ قَدْرَهُ⁽⁸⁾، وَأَصْلُ الْعُدْوَانِ يَدُلُّ عَلَى تَجَاوُزٍ فِي الشَّيْءِ⁽⁹⁾، وَالْمَعْنَى هُنَا: تَجَاوُزُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ إِلَى مَا حَرَّمَ بِمُوَاقَعَةِ الْمُحْظُورِ وَارْتِكَابِهِ⁽¹⁰⁾، وقيل: العدوان أسوأ الاعتداء في قُوَّةٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ حَالٍ؛ ومنه ما ورد في قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُونًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾، وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: 166]، أي معتمدون⁽¹¹⁾، وقولهم: عدا على الضُّعفاء: ظلمهم وجار عليهم، افترى عليهم، وتجاوز الحدَّ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 115]، وقال: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ﴾ [البقرة: 12]⁽¹²⁾.

(3) ﴿نُصْلِيهِ نَارًا﴾: نُدْخِلُهُ فِيهَا، وَنَشْوِيهِ بِهَا، وَمِنْهُ صَلَّيْتُ اللَّحْمَ، أَيِ شَوَيْتُهُ، وَأَصْلُهُ النَّارَ وَصَلَاهُ صَلِيًّا أَدْخَلَهُ إِيَّاهَا وَأَتَوَاهُ فِيهَا، وَأَصْلُ الصَّلَى لِإِقَادِ النَّارِ؛ وَالْمَعْنَى هُنَا: نُدْخِلُهُ

(1) الرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (أكل)، وجبل، اللُّغَجُ الْمُشْتِقَاتِي: (أكل).

(2) الْفَتْوَمِيُّ، الصَّبَاحُ: (أكل).

(3) الرَّازِيُّ، مَخْتَارُ الصَّحَاحِ: (أكل).

(4) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (أكل).

(5) جَبَل، اللُّغَجُ الْمُشْتِقَاتِي: (أكل).

(6) الرَّيْدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (أكل).

(7) ابْنُ دُرَيْدٍ، جُمْهُرَةُ اللُّغَةِ: (دعو).

(8) ابْنُ عَبَّادٍ، الْمُحِيطُ: (عدو).

(9) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (عدو).

(10) جَبَل، اللُّغَجُ الْمُشْتِقَاتِي: (عدو).

(11) الرَّيْدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (عدو).

(12) أَحْمَدُ مَخْتَارُ عَمْرٍ، مَعْجَمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاوِرَةِ: (عدو).

فيها فيلّاقِي حَرَّهَا وَشَدَّتْهَا⁽¹⁾، قال أبو زَيْدٍ: يقال: صَلَّى الرَّجُلُ النَّارَ يَصْلَاهَا صَلًى وَصَلَاءً، وَهُوَ صَالِي النَّارِ، وقوم صالون وصلاء، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ [الضافات: 163] وقال: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: 70]⁽²⁾، ومعنى اللفظ في السياق: "فَسَوْفَ نُصْلِيهِ جَوَابُ الشَّرْطِ، أَي: نُدْخِلُهُ نَارًا عَظِيمَةً"⁽³⁾، والله لا يعجزه شيء، فهو قادر على إصلاّته.

4 ﴿نُكَفِّرْ﴾: نَغْفِرُ، وَنَسْتُرُ وَنَمُحُ، وَقَدْ كَفَرْتُ الشَّيْءَ أَكْفَرُهُ كَفْرًا، أَي سَتَرْتُهُ، وَأَصْلُ الْكَفْرِ: السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ⁽⁴⁾؛ والمعنى هُنا: نَغْفِرُ لَكُمْ الصَّغَائِرَ؛ إِنْ اجْتَنَبْتُمْ الْكَبَائِرَ⁽⁵⁾، ومعنى هذا اللفظ ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ﴾ في السياق: نَغْفِي ونستر، فلا نطالب بها، ولا نؤاخذ عليها⁽⁶⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يخاطب السياق الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، بَأَنْ يَتَعَفَّفُوا عَنْ أَخْذِ بَعْضِهِمْ مَالَ بَعْضٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ الْمَأْخُودَةُ تِجَارَةً صَادِرَةً عَنْ تَرَاضِي الْمُتَعَاقِدِينَ، وَطِيبِ أَنْفُسِهِمْ بِمَا يَتَبَادَلُونَهُ، فَيَجِلُّ لَهُمْ أَكْلُهَا وَالتَّصَرُّفُ فِيهَا، وَنَهَايَهُمْ عَنْ قَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، أَوْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ الرَّحِيمِ بِهِمْ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الْمُنْهَى عَنْهُ، فَسَيَدْخِلُهُ اللَّهُ نَارًا يَصْطَلِي بِحَرِّهَا، وَيُقَاسِي عَذَابَهَا، وَهُوَ أَهْوَنُ مَا يَكُونُ عَلَى اللَّهِ الْقَدِيرِ، ثُمَّ يُوَكِّدُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ يَتَّبِعُوا عَنْ فِعْلِ الْكَبَائِرِ، كَالشَّرْكِ بِاللَّهِ، وَقَتْلِ النَّفْسِ، وَأَكْلِ الرِّبَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ

(1) الخليل، العين: (وصل) ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (صلا)، السَّمْنُ، غُمْدَةُ الْخَفَاطِ: (صلي)، وَالزَّيْدِيُّ، تاجُ الْعَرُوسِ: (صلي)، وَالزَّائِغُ، الْقُرْدَاتُ: (صلا).

(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 6/205.

(3) الشَّوْكَاتِي، فتح القدير: 1/527.

(4) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ: (كفر)، وابن فارس، مقاييس اللغة: (كفر).

(5) الْقُرْطُبِيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 06/406.

(6) الجزائري: أيسر التفاسير: 1/468.

الإرشاد إلى
حِفْظِ الْأَنْفُسِ
وَالْأَمْوَالِ،
والتَّحْذِيرِ مِنَ
الْكَبَائِرِ وَطَرَقِ
أَهْلِ الضَّلَالِ

سوف يتجاوز عنهم ما يرتكبونه من صغائر، بمغفرتها ومحوها، ويُدخلهم مدخلا رضيًا لديه، في جنات النعيم⁽¹⁾.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

براعة تضدير الخطاب بالنداء في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

إظهار كمال
العناية
بمضمون
الخطاب وفخاؤه

هذا المضمون الذي يحمل بيانًا واضحًا في حرمة الأموال والأنفس؛ إثر بيان الحُرُمات المتعلقة بالنساء، ولذا جاء الكلام مُستأنفًا⁽²⁾ بالنداء بحرف الياء التي هي للتعظيم، مع أداة التنبيه (أيها)، لطلب إقبال المؤمنين على أمر ذي شأن.

دلالة مجيء الاسم الموصول:

عبر بالاسم الموصول؛ للتوسُّل إلى جملة الصلة ﴿ءَامَنُوا﴾ المعلومة الانتساب إلى المشار إليه، وهم المؤمنون بالله ورسوله؛ للإيماء إلى أن كونهم مؤمنين يقتضي الامتثال للآتي بأهل هذا الوصف الشريف؛ لما يُطلب منهم؛ تلبيةً لندائه في اجتناب أكل الأموال بالباطل وقتل المؤمنين بغير حق.

الإيمان يقتضي
الامتثال للآتي
لله ورسوله

مناسبة تقديم النهي عن أكل الأموال على النهي عن قتل النفس في:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾:

قدم النهي عن أكل الأموال على النهي عن قتل النفس مع أن الثاني أخطر؛ لأنَّ أكل الأموال أسهل، والناس أشدَّ استخفافًا به منهم بقتل النفس، ولكثرة وقوعه، ولأنَّه يقع في مواقع الضعف

(1) للحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، ص: 105، ونُخبَة من أسانيد التفسير، التفسير المبسّر، ص: 83، وجماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 83.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/23.

التَّخْذِيرُ مِنَ
تَسَاهُلِ النَّاسِ
فِي شَأْنِ الْأَمْوَالِ
لِخَفَاءِ خُطُورَتِهِ

بَيَانُ أَشْهَرِ
مَصَارِفِ الْمَالِ
وَأَشْنَعِ صُورِ
التَّعَدِّي فِيهِ

بَيَانُ اخْتِلَافِ
التَّجَارَةِ عَنْ
غَيْرِهَا فِي
الْحُكْمِ، وَإِبَاحَةِ
أَكْلِ الْمَالِ الرَّائِدِ
فِيهَا

غَالِبًا حَيْثُ لَا يَدْفَعُ صَاحِبُهُ عَنْ نَفْسِهِ، كَالْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ وَالزَّوْجَةِ، فَأَكَلَ أَمْوَالِ هَؤُلَاءِ فِي مَأْمَنِ مِنَ التَّبِعَاتِ بِخِلَافِ قَتْلِ النَّفْسِ، فَإِنَّ تَبِعَاتِهِ لَا يَسْلَمُ مِنْهَا أَحَدٌ، وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْعِزَّةِ فِي قَوْمِهِ كُلِّ مَبْلَغٍ، ⁽¹⁾ وَلَئِنْ أَكَلَ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ دَاعٍ غَالِبًا إِلَى قَتْلِ الْأَنْفُسِ، وَمِمَّا يَزِيدُ هَذَا النَّهْيَ قُوَّةً وَتَأْكِيدًا مُرَاعَاةً مَا قُبِدَ بِهِ الْأَكْلُ بِوَصْفِهِ بِالْبَاطِلِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِسْتِعْلَاءِ الَّذِي يَجْعَلُهُ إِزْمَامِيًّا.

بلدغة المجاز المرسل في قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾:

جاء التعبير على طريقة المجاز المرسل ⁽²⁾ بعلاقة اللزوم حيث عَبَّرَ عَنْ أَخْذِ الْمَالِ وَالِاسْتِیْلَاءِ عَلَيْهِ بِالْأَكْلِ؛ لِأَنَّهُ أَهَمُّ الْحَوَائِجِ، وَبِهِ يَقَعُ إِتْلَافُ أَكْثَرِ الْأَمْوَالِ، وَهُوَ أَشْهَرُ لَوَازِمِهِ وَمَصَارِفِهِ عِنْدَ النَّاسِ ⁽³⁾، كَمَا عَبَّرَ بِالْأَكْلِ هُنَا لِمَا فِيهِ مِنْ فَنَاءِ الْمَادَّةِ الْمَأْكُولَةِ وَإِخْفَائِهَا عَنِ الْعَيُونِ نِهَائِيًّا، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَالَ بِمَثَابَةِ الطَّعَامِ يَلْتَهُمُهُ الظَّالِمُ، لِيُبَيِّنَ شِدَّةَ حِرْصِهِ عَلَى أَخْذِهِ دُونَ تَرْكِ شَيْءٍ مِنْهُ وَدُونَ إِرْجَاعِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَهَذَا الْمَجَازُ صَارَ كَالْحَقِيقَةِ ⁽⁴⁾، فِي ظُهُورِهِ وَشِيعِهِ وَكَثَرَتِهِ وَشِنَاعَةِ حَالِ فَاعِلِهِ؛ وَنَظِيرُ هَذِهِ الصُّورَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذُلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188] وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10].

دلالة الاستثناء المنقطع في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾:

الاستثناء هُنَا مُنْقَطِعٌ، لِأَنَّ التَّجَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ أَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ، وَالْمَعْنَى: لِكِنْ كَوْنُ التَّجَارَةِ غَيْرَ مَنِهْيٍّ عَنْهَا، وَمُنَاسِبَةٌ

(1) الألويسي، روح المعاني: 03/17، وابن عاشور، التخرير والتنوير: 5/23.

(2) تعريفه في تفسير الصفحة الأولى من هذا الجزء.

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 3/610، والقفجوي، فتح البيان: 3/93.

(4) ابن عاشور، التخرير والتنوير: 5/23.

استدراك التجارة دون غيرها هي أن التجارة لما كانت أشد أنواع
أكل الأموال شبهًا بالباطل، إذ التبرعات والمعاوضات عن طيب
نفس، وأما التجارة فلاجل ما فيها من أخذ المتصدي للتجارة مالا
زائداً على قيمة ما بذله للمشتري قد تشبه أكل المال بالباطل فذلك
خُصت بالاستدراك⁽¹⁾.

فائدة الاستدراك في الاستثناء المنقطع:

أشعر الاستدراك أن التجارة التي تكون عن تراض، وفيما بينه الله
تعالى محمودة ممدوحة، وحكمة إباحة أكل المال الزائد فيها أن عليها
مدار رواج السلع الحاجية والتحسينية، ولولا تصدي التجار وجلبهم
السلع لما وجد صاحب الحاجة ما يسد حاجته عند الاحتياج⁽²⁾.

التجارة الشرعية
محمودة
ممدوحة

نكتة التقييد بالصفة في قوله ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾:

شبه الجملة هنا صفة ﴿تَجَرَّةٌ﴾، ولما كان الموصوف نكرة كانت
الصفة قيداً له، والمعنى جواز أكل مال التجارة بقيد التراضي
والتسامح وطيب النفس من المتعاقدين⁽³⁾.

جواز أكل مال
التجارة التي
تكون عن
مسامحة وطيب
نفس

دلالة حرفي الجرّ (عَنْ، مِنْ) في قوله ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾:

يدل ﴿عَنْ﴾ على معنى المجاوزة، والمعنى أن يتجاوز الرضا عن
التجارة كل طرف من المتعاقدين إلى الآخر، والمراد تجارة صادرة
عن تراض منكم، أي بين المتبايعين، بما يدل عليه من لفظ أو
حرف⁽⁴⁾، ودل الحرف (مِنْ) على أن ابتداء التراضي يصدر من
كل واحد من الطرفين، للإشعار بأن رضا غير الطرفين لا يعتد به،
والمعنى يبتدئ الرضا من الطرف الأول ويتجاوزهُ إلى الثاني، ثم
يبتدئ الرضا من الثاني ويتجاوزهُ إلى الأول، فيحصل التبايع.

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير: 5/23.

(2) الراغب، تفسير الزاغب: 3/1204، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/24.

(3) أبو خيثان، البحر المحيط: 3/610، والآلوسي، روح المعاني: 03/16، والهزري، خدائق الروح والريحان: 6/34.

(4) الرّمحشري، الكشف: 1/502، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/24.

بلادة قوله ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ و﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

بين الحقيقة والاستعارة والمجاز المرسل:

يحتمل الكلام أن يكون على الحقيقة؛ ليتناول اللفظ في ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾ و﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ النهي عن أن يأكل مال نفسه بالباطل، وهو: إنفاقه في معاصي الله تعالى، والنهي عن قتل النفس بقصد منه للقتل، أو بأن يحملها على غرر أو حسرة، أو يعرضها لما يوجب الحد بالقتل كالردة والزنى مع الإحصان أو يعرضها لما يجلب لها الهلكة، فهذا كله يتناوله النهي⁽¹⁾

ويحتمل أن يكون مجازاً بطريق الاستعارة التصريحية التبعية، إذ جعل مال الغير ماله نفسه، وجعل الغير نفسه؛ لمناسبة الاتصال بالدين، والقرينة مخاطبتهم بوصف الإيمان، فإذا أكل المؤمن مال غيره المتصل بالدين بالباطل فكأنما أكل ماله بالباطل، وإذا قتل المؤمن أخاه المتصل به في الدين فكأنما قتل نفسه، ومبنى الاستعارة على الضمير في ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾، ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾، والمعنى النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وأن يقتل بعض الناس بعضهم، والغرض من مجيء الكلام على الاستعارة هو التنبية على تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها بإقامة الدليل وإظهار الحجّة على المدعى، كأنه يقول: إِنَّ مَال كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ هُوَ مَالُ أُمَّتِكُمْ، فَإِذَا اسْتَبَاحَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ مَالَ الْآخَرِ بِالْبَاطِلِ أَوْ قَتَلَهُ كَانَ كَأَنَّهُ أَبَاحَ لِغَيْرِهِ أَكْلَ مَالِهِ وَهَضَمَ حَقَّهِ أَوْ قَتَلَهُ وَاتْلَافَ رَوْحَهُ، فَفِيهِ مِنَ الْمَبَالِغَةِ فِي الرَّجَرِ عَنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَالْقَتْلِ بغيرِ حَقٍّ وَتَصْوِيرِهِ بِصُورَةٍ مَا لَا يَكَادُ يَفْعَلُهُ عَاقِلٌ⁽²⁾.

ويحتمل أن يتناول اللفظ المعنى الحقيقي المذكور أولاً والمعنى المجازي، معاً، وهو أوجه الأقوال وأظهرها من حيث اللفظ؛ ليشمل

شُمُولُ الْخُطَابِ
لِجَنَسِ الْمُؤْمِنِينَ
بِحِفْظِ أَنْفُسِهِمْ
مِنَ الْهَلَكَاتِ
وإِسْعَارَ لَهُمْ بِأَنْ
ذَمَّتْهُمْ وَاجِدَةٌ

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 2/42، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/71، وأبو حيان، البحر للحيط: 3/610.

(2) أبو حيان، البحر للحيط: 3/610، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/170، ورضا، تفسير النار: 5/33.

الْلَفْظُ النَّهْيُ عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَعَنْ أَكْلِ مَالِهِ بِالْبَاطِلِ
بَصْرَفِهِ فِي الْمَعَاصِي وَالنَّهْيُ عَنْ قَتْلِ غَيْرِهِ وَعَنْ قَتْلِ نَفْسِهِ⁽¹⁾؛ لِذَا
احتجَّ عمرو بن العاص بهذه الآية حين امتنع من الإغتسال بالماء
البارد خوفاً على نفسه منه، وَقَرَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على احتجاجه⁽²⁾.
وجاءت جملة التذييل: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ مؤكدة لهذا
المعنى؛ فَإِنَّ تَعْلِيلَ النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ بِالرَّحْمَةِ أَوْفَقُ وَأَنْسَبُ كَمَا
لَا يَخْفَى⁽³⁾.

ويحتمل أن يكون مجازاً مرسلاً من إطلاق المسبب على السبب
على معنى إذا أكل مال غيره بالباطل ضمن بالتعدي، فيكون سبباً
لأخذ ماله لردّه إلى من أكل ماله، وإذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه؛
لأنّه يُقْتَصُّ منه⁽⁴⁾.

دلالة الجمع في الطلب بين حفظ النفس والمال: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾
و﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾:

فالمال عدلُ الروح من حيث إنه سبب قوامها، وقد نهينا عن
إتلافه بالباطل، كنهينا عن إتلاف النفس؛ لكون أكثر إتلافهم لها
بالمغامرات؛ لنهب الأموال، وما كان متصلاً بها، وربّما أدى ذلك إلى
الفتن التي ربّما كان آخرها القتل⁽⁵⁾.

**بيان سبب قوام
الأنفس وأن
صلاحها يكون
بالمال**

حسن التذييل في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾:

أولاً: لما كان التعبير بـ ﴿إِنَّ﴾ في هذه الجملة يصحّ ما قبله،
ويحتج له، ويبين وجه الفائدة في النهي دلّ على أنها تفيد العليّة⁽⁶⁾؛

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 2/42، أبو حبان، البحر المحيط: 3/611، والنيسابوري، غرائب القرآن: 2/399، وأبو السعود، إرشاد العقل
السلیم: 1/687.

(2) ابنُ غَطِيَّة، الْخَزَزُ الْوَجِيزُ: 2/42.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السلیم: 1/687.

(4) أبو حبان، البحر المحيط: 2/612.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السلیم: 1/686، والبروسوي، روح التبيان: 2/195، والهمزري، خدائق الزوج والريحان: 6/37.

(6) الجرجاني، دلائل الإعجاز: 323/أبو السعود، إرشاد العقل السلیم: 1/687.

تَغْلِيلُ النَّهْيِ
السَّابِقِ وَبَيَانُ
حِكْمَتِهِ فِي الْأَمْرِ
وَالنَّهْيِ وَكَمَالِ
رَحْمَةِ اللَّهِ بِهِذِهِ
الْأُمَّةِ

فبسبب رحمته بكم نهاكم عن أكل الأموالِ بالباطل وعن قتل النفس،
فنهاكم عما يضرُّكم عاجلاً وأجلاً؛ لِيَكُونَ التَّغْلِيلُ دَاعِياً إِلَى مُحَبَّتِهِ
سُبْحَانَهُ وَإِلَى شُكْرِهِ عَلَى مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ⁽¹⁾.

ثانياً: أفادت ﴿إِنَّ﴾ تأكيدَ مضمونِ الجملة لتقريرِ المعنى وتشبيته.
ثالثاً: أكَّد الكلامَ بـ ﴿إِنَّ﴾؛ لِإِشْعَارِ بَأْنَكُمْ قَدْ تَظُنُّونَ أَنَّ النَّهْيَ
عَنْ أَكْلِ الْمَالِ الْحَرَامِ وَعَنْ إِتْلَافِ النَّفُوسِ لَيْسَ فِي مَصْلَحَتِكُمْ،
وَلَيْسَ فِيهِ رَحْمَةٌ بِكُمْ، فَالظَّنُّ الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْكُمْ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ،
فَأَكَّدَ الْكَلَامَ بـ ﴿إِنَّ﴾؛ لِيَكُونَ بِمِثَابَةِ الْإِنْكَارِ عَلَى مَا قَدْ يَظُنُّونَهُ⁽²⁾.

رابعاً: قدَّم الجارَّ والمجرورَ ﴿بِكُمْ﴾ على ﴿رَحِيماً﴾؛ لِإِلْهَاتِمَا
وِلِّاعْتِنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ لَا لِلتَّخْصِصِ، وَإِنَّمَا كَانَ التَّقْدِيمُ لِإِلْهَاتِمَا
لِلْحَثِّ عَلَى الْإِمْتِنَانِ لِلنَّهْيِ.

خامساً: أفاد أسلوب ﴿كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ استمرارَ اتِّصَافِ
اللَّهِ تَعَالَى بِكَوْنِهِ رَحِيماً وَدَوَامِ رَحْمَتِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَظُهُورِ آثَارِ
رَحْمَتِهِ بِهِمْ.

دَلَالَةُ اسْمِ الْإِشَارَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوًا وَظُلْمًا﴾:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: عَبَّرَ بِـ ﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةً إِلَى الْقَتْلِ خَاصَّةً؛
لَأَنَّهُ أَجَازَ أَكْلَ أَمْوَالِ التَّجَارَةِ عَنْ تَرَاضٍ، وَبَقِيَ الْإِجْمَالُ فِي النَّهْيِ
عَنِ الْقَتْلِ، أَوْ إِشَارَةً إِلَى أَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ وَالْقَتْلِ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ
عَنْهُمَا جَاءَ مُتَّسِقًا مُسْرُودًا، أَوْ إِشَارَةً إِلَى كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ نِكَاحِ
الْمَحْرَمَاتِ، وَعَصْلِ الْمُحَرَّمِ وَأَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ، وَقَتْلِ الْمُحَرَّمِ قَتْلُهُ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ، فَعَبَّرَ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ؛ لِلْإِجَازِ فِي الْكَلَامِ، وَلِبَيَانِ الْمَشَارِ
إِلَيْهِ وَتَمْيِيزِهِ أَكْمَلَ تَمْيِيزٍ، وَلَمَّا ذَكَرَ مَا يَكُونُ إِشَارَةً إِلَى الْبَعِيدِ كَانَ

التَّهْوِيلُ
والتَّخْوِيلُ مِنَ
قَتْلِ الْأَنْفُسِ
وَأَكْلِ الْأَمْوَالِ
بِالْبَاطِلِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 8/229، وأبو خيثان، البحر للحيط: 3/610، والنيسابوري، غرائب القرآن: 2/400.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 327.

إِذَا نَا بَبُعِدِ مَنْزِلَتَهُمَا فِي الْفَسَادِ؛ لِبَيَانِ عِظَمِ الْخَطْبِ، وَأَنَّ فَاعِلَهُمَا قَدْ أَبْعَدَ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْجُرْمِ.⁽¹⁾

دلالة قوله ﴿عُدُونَا وَظَلَمْنَا﴾ بَيْنَ التَّعْلِيلِ وَالْحَالِيَّةِ:

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُ ﴿عُدُونَا وَظَلَمْنَا﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ؛ لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّ نِيَّةَ الْاِعْتِدَاءِ وَالظُّلْمِ حَاضِرَةٌ وَقْتُ الْبَدْءِ بِأَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ وَبِالْقَتْلِ مُسْتَمِرَّةٌ مَعَهُمَا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُمَا عَلَى الْحَالِيَّةِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى اقْتِرَانِ الْعُدَاوَانِ وَالظُّلْمِ بِالْفِعْلِ الْمَذْكُورِ⁽²⁾.

سبب تَقْيِيدِ الْفِعْلِ بِالْعُدَاوَانِ وَالظُّلْمِ:

لَمَّا كَانَ الْعُدَاوَانُ وَالظُّلْمُ قَيْدَيْنِ لَاسْتِحْقَاقِ الْوَعِيدِ أَفَادَ الْكَلَامُ أَنَّ مَا كَانَ خَطَأً أَوْ سَهْوًا أَوْ كَانَ بِحَقِّ كَالْقَصَاصِ وَسَائِرِ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ لَا يَدْخُلُ ضَمْنَ الْوَعِيدِ⁽³⁾.

إِخْرَاجُ مَا كَانَ
مِنَ الْأَخْذِ
وَالْقَتْلِ عَلَى وَجْهِ
حَقِّ أَوْ سَهْوٍ أَوْ
خَطَأٍ

مناسبة الجمع بَيْنَ الْعُدَاوَانِ وَالظُّلْمِ فِي قَوْلِهِ ﴿عُدُونَا وَظَلَمْنَا﴾:

لَمَّا كَانَ الْعُطْفُ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْعُدَاوَانُ غَيْرُ الظُّلْمِ، وَلَيْسَ مُرَادِفًا لَهُ، فَإِذَا كَانَ الْعُدَاوَانُ بِمَعْنَى الْإِفْرَاطِ فِي التَّجَاوُزِ عَنِ الْحَقِّ، وَالظُّلْمُ بِمَعْنَى الْإِتْيَانِ بِمَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، فَيَشْمَلُ الْعُدَاوَانُ وَغَيْرَهُ كَانَ الظُّلْمُ أَعَمَّ، فَيَكُونُ مِنْ عُطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، فَقَدَّمَ الْعُدَاوَانُ الَّذِي هُوَ أَخْصَصُ مِنَ الظُّلْمِ؛ تَنْبِيْهًُا عَلَى أَنَّ مَنْ ارْتَكَبَ صَغِيرَةً، وَلَمْ يَقْمَعْ نَفْسَهُ عَنْهَا جَرَّتْهُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا، فَتَبَّهَ أَنَّ مَنْ حَقَّ الْإِنْسَانُ أَنْ يَحْفَظَ نَفْسَهُ عَنِ الصَّغِيرَةِ خَشْيَةً أَنْ يَقَعَ فِيهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا.

وَإِذَا كَانَ الْعُدَاوَانُ بِمَعْنَى التَّسْلُطِ بِشِدَّةٍ، الَّذِي يَكُونُ بِظُلْمٍ غَالِبًا، وَقَدْ يَكُونُ بِحَقٍّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا عُدُونَنَا إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١٣٣) [البقرة: 193]، فَيَكُونُ الظُّلْمُ أَخْصَصَ مِنْهُ، فَيَكُونُ مِنْ عُطْفِ الْخَاصِّ عَلَى

(1) ابن جرير، جامع البيان: 8/231، وابن عطية، للحرر الوجيز: 2/42.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 3/613.

(3) النيسابوري، غرائب القرآن: 2/400.

العام، وهو الغالب في الكلام، فإنَّ حكمَ العامِّ والخاصِّ إذا اجتمعا أنَّ يقدِّمَ العامُّ على الخاصِّ، وعلى كلا التَّوجيهين يدلُّ العطفُ على التَّأكيدِ، لتضمينِ العامِّ معنى الخاصِّ. أو أنَّ يكونَ العُدوانُ هو أن يتجاوزَ إلى حقِّ غيره، والمرادُ مِنَ الظُّلمِ ظلمُ النَّفسِ بتعريضها للعقابِ، فيكونُ بينهما تغايرٌ تامٌّ، ويكونُ المعنيُّ بالظُّلمِ غيرَ المعنيِّ بالعُدوانِ، فبيِّن أنَّ مَنْ جمعَ بينَ الأمرينِ فقدَ ظلمَ نفسه، وظلمَ غيره، فهو مستوجبٌ لإصلاحه في النَّارِ⁽¹⁾.

مناسبة العطفِ في الشرطِ في قوله ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾:

لما كانَ الشرطُ في مقامِ السَّبَبِ لوقوعِ الجزاءِ دلَّ عطفُ الظُّلمِ على العُدوانِ اشتراطَ حصولهما معاً؛ لتحقيقِ الجزاءِ ووقوعه، فإذا وُجدَ أحدهما دونَ الآخرِ لا يستحقُّ هذا الوعيدَ الشَّدِيدَ⁽²⁾.

نكتة التعبيرِ بـ ﴿فَسَوْفَ﴾:

عبَّرَ بحرفِ الاستقبالِ ﴿فَسَوْفَ﴾؛ لإفادةِ تأكيدِ الوعيدِ وتثبيته، وأنه واقعٌ لا محالة⁽³⁾، وإنَّ كانَ بعيداً في ظنِّهم.

دلالة التَّنكِيرِ في قوله ﴿نَارًا﴾:

أفادَ التَّنكِيرُ التَّعْظِيمَ، والمعنى: فسوف نُصلِّيهِ ناراً عظيمةً شديدةً يستحقُّها على فعله الشَّنِيعِ⁽⁴⁾.

بلاغة الالتفاتِ في قوله ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا﴾:

وردَّ الكلامُ على طريقِ الالتفاتِ، ففيه عدولٌ عن الغيبةِ إلى التَّكَلُّمِ في قوله: ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا﴾، ثمَّ رجوعٌ إلى الغيبةِ في قوله: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، فيكونُ الكلامُ الحسنُّ أكثرَ تطرُّفٍ لِنَشَاطِ السَّامِعِ، وليكونَ السَّامِعُ أكثرَ إصغاءً لموضعِ الوعيدِ؛ لما في نونِ التَّعْظِيمِ في قوله ﴿نُصَلِّيهِ﴾ مِنَ الرَّهْبَةِ والمهابةِ تأكيداً لِشِدَّةِ العذابِ وتعظيماً له.

(1) الرَّاغِب، تفسير الراغب: 1207/3، البياضوي، أنوار التنزيل: 2/71، وابنُ عاشور، التَّحْزِين والتَّنْزِيل: 2/5.

(2) رضا، تفسير النار: 5/38.

(3) الرَّمَّحْشَرِي، الكشاف: 1/583.

(4) أبو حَتَّان، البحر للحيط: 3/613، والسَّمِين، الدر للصون: 3/664، والبروسوي، روح البيان: 2/195.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 7، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-59-0

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 7: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-59-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»